جامعة الأنبار
كلية الآداب
قسم التاريخ /الدراسات الأولية
المرحلة:الثالثة
تدريسي المادة :أ.د.عبد الستار مطلك درويش
أ.د.إيمان محمود العبيدي

المحاضرة الحادية عشر

العلوم العقلية :

اهتمت الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية والعباسية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدينية فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح، فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة. فالإسلام دينٌ عالمي يحض على طلب العلم وعمارة الأرض لتنهض أممه وشعوبه، وتنوعت مجالات الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية؛ لأن الحرية الفكرية كانت مقبولة تحت ظلال الإسلام، وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتشع على بلاد الغرب وطرقت أبوابه، وهذه البوابة تبرز إسهامات المسلمين في مجالات الحياة الإنسانية والاجتماعية والبيئية، خلال تاريخهم الطويل، وعصورهم المتلاحقة.

ومن هذا المنطلق نجد ان العرب المسلمون برعوا في مجال العلوم العقلية والتي سنتناولها بشئ مفصل وعلى النحو الاتي:

علم النبات: العلم الذي يبحث في أنواع النبات، وخواصِّها، وأشكالها، وعجائبها، ومنافعها، ومضارِّها؛ للغذاء أو التداوي به.
اهتمَّ المسلمون والعرب بعلم النبات مِن جوانب متعددة:

الأول :منها تحديدهم لأسماء النباتات وأصولها وترتيبها؛ كما فعل الفراهيدي والأصمعي والتميمي.

والثاني :منها دراسة النبات من جهة الزراعة؛ كمعرفةِ الأراضي وتربتها وخصوبتها، وصلاحيتها بنباتات معينة، وما تحتاج إليه من سماد وماء وأدوية، ويدخل ما يُسمَّى بتربية الحيوانات وتسمينها عن طريق العناية بغذائها ودوائها.

والثالث :منها تلك السلالات النباتية التي اكتشفها الرحَّالة المسلمون، فضلًا عما قرؤوا عنه عند الآخرين.

والرابع من مجالات اهتمام العلماء المسلمين بالنبات هو :ما يتمثَّل في دراسة النباتات الداخلة في صناعة الأدوية (العقاقير)، وهي دراسات تعتمدُ على البيئة التي يعيش فيها النباتيون والصيادلة والأطباء والكيماويون المشتغلون باستخلاص المركَّبات العقَّارية المناسبة للأمراض

الشائعة في بيئتهم، ولعل هذا الفرع قريب مما يُعرف في أيامنا بعلم البيئة أو نباتات البيئة بصفة خاصة.

وقد بدأ اهتمام العرب بعلم النبات، وجمع أسمائها، بوصفها جزءًا من اللغة واجب التحقيق، وكان ذلك بعد أن اتَّسَعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بالأعاجم، وأشفق المسلمون على لُغتهم من الفساد، ومِن تسرُّب اللَّحن إليها، فجعلوا يجمعون مفردات لُغتهم ويسجِّلونها، بوصفها المدخل الصحيح لفهم معاني القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكان الزرع والنبات والكَرْم والعنب والبقل والنخل، وغير ذلك مما عُنوا به وجدُّوا في تدوينه؛ حيث استقَوا أغلب معلوماتهم عنها من أشعار الجاهلية، ومما ورد في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية، وما نقلوه عن الأعراب الذين وفدوا إلى الأمصار؛ فضلًا عما حقَّقوه بأنفسهم من خلال زياراتهم الميدانية للبادية، ويعني هذا أن أغلب مؤلفات علماء المسلمين المبكِّرة في مجال النبات كانت عبارة عن مجموعة من الأسماء والمصطلحات النباتية، التي صنفت ضمن محتويات المعاجم اللُّغوية، باعتبارها جزءًا من اللغة لا ينفصل عنها، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة إقبال علماء المسلمين إبان تلك الفترة المبكرة على وضع مؤلفات متخصصة في علم النبات.

وإذا تتبَّعنا أسماء اللُّغويين العراقيين، الذين يرجع إليهم الفضل في العناية بجمع أسماء النبات ومصطلحاته، فسنجد أنفسنا أمام قائمةٍ طويلة يضيق المقام بذكرها، ولكن نذكر منهم على سبيل المثال:

النَّضْر بن شميل (المتوفى ٢٠٤هـ.(

وأبا عبيدة مَعْمر بن المثنَّى (المتوفى ٢٠٨هـ.(

وعبدالملك بن قريب الأصمعي (المتوفى ٢١٧هـ.(

وأبا زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥هـ.(

وابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ه/ ٨٤٥م.(

وأبا حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥هـ)، وغيرهم كثير.

وهؤلاء صنَّفوًا كتبًا في النبات تحمل عناوين "النبات"، وهو عنوان لكثير من الكتب، و"النخل"، و"الشجر"، و"الزرع"، و"النبت"، و"البقل"، و"العشب"، وغيرها، فضلًا عن المعاجم اللُّغوية التي حَوَت أبوابًا خاصة بالنبات.

وبلا شك، فإن المسلمين لم يبدؤوا من فراغ؛ فقد أفادوا مما ورثوه من كتب جالينوس وديسقوريدس، وغيرهما من الذين اهتمُّوا بالنبات والأرض والفلك؛ ففي بغداد اطلع المسلمون على التراث الإغريقي في النبات والفلاحة، وقاموا بنقل بعض المؤلفات إلى العربية؛ مثل كتاب "الفلاحة" لديموقريطس، وثلاثة كتب لأرسطو هي: "كتاب الفلاحة" في عشر مقالات، وكتاب "الإبانة عن علل

النبات"، وكتاب "النبات"، الذي توفر على ترجمته ثابت بن قرة الحراني البغدادي (ت ٢٨٨هـ/ ٩١٠م)، وسماه "تفسير كتاب أرسطو في النبات"، ثم قام إسحاق بن حنين (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م) بمراجعته وتنقيحه.

وعلم النبات من العلوم التى ازدهرت فى العصر الاسلامى علم النبات والذى ظهر فيه مجموعة من العلماء الذين افنوا حياتهم فى دراسة هذا العلم فبعد ان ترجم المسلمون الكثير من الكتب اليونانية والفارسية والهندية والتى تناول البعض منها البحث فى علم النبات والاعشاب انكب علماء المسلمين على دراسة على دراسة هذه الكتب وثبر غورها واستو عبوا ما فيها ثم عملوا على تمحيصها وتحليل مضمونها وبدا هولاء العلماء فى اتباع المنهج العلمى فى دراسة النبات والذى اعتمد اعتمادا كبيرا على الملاحظة والتجربة وتحرى الدقة المتناهية للوصول الى نتائج موضوعية وليست افتراضية .
ومن الملفت للنظر فى هذا المجال ان بعض الرحالة المسلمين فى مجال الجغرافيا قد اهتموا اهتماما كبيرا بعلم النبات وصنفوا فيه الكتب والمخطوطات ومن اشهر هؤلاء الرحالة الجغرفى الشهير الادريسى والذى وضع كتابا فى علم النبات على جانب كبير من الاهمية هو (الجامع لصفات اشتات النبات وضروب انواع المفردات من الاشجار والثمار والاصول والازهار) ولقد ضمن الادريسى هذا الكتاب معجما لأسماء هذه النباتات فى اللغات السريانية والفارسية واللاتينية والبربرية والقبطية كما اشار الادريسى منافع كل منها وما يؤجذ من هذه النباتات من زيوت وعطور وما لهذه الاشياء من فوائد عظمى فى العلاج والتداوى من الامراض المختلفة .
ولقد قسم الادريسى هذا الكتاب الى قسمين يضم الاول منهما نحو ٣٦٠ نوع من النبات اما القسم الثانى فيضم نحو ٣٠٠ نوع اخر من النبات .
ان تأليف الادريسى هذا الكتاب وهو الجغرافى الرحاله ليدل ددلالة واضحة على علمة الواسع الشامل بعلم النبات الى جانب تفرده فى علم الجغرافيا ورسم الخرائط فهو بحق من العلماء المسلمين الذين اتقنوا الكثير من العلوم واجادوا فيها جميعت فهو عالم موسوعى فذ.

* الدينورى :
ومن اشهر علماء النبات المسلمين الدينورى وهو احمد ابن داود الدينورى والذى ينسب الى مدينة فى ايران واشهر مؤلفات الدينورى كتابه (علم النبات) والذى يقع فى سته مجلدات ويعد هذا الكتاب موسوعة علمية رائعة ذكر فيها الدينورى اسماء النباتات فى اللغات اليونانية والفارسية واللاتينية كما انه وضع رسوم دقيقة لهذه النباتات وثمارها وفوائدها المختلفة كما تحدث عن التربة والمناخ الملائمين لزراعة كل نوع منها لقد اعتمد الدينورى فى دراستة للنبات على الملاحظة والمشاهدة والمعاينة المباشر والتجربة ولذلك فقد انتهى الى نتائج موضوعية افادت علم النبات فى عصر وافدت من جاء بعده من علماء النبات العرب والاوربيين .
* ابن عبدون :
من اشهر علماء النبات فى العصر الاسلامى ابن عبدون ولاذى عاش فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى والف ضخما فى علم النبات اسماه(عمدة الطبيب فى معرفة النبات) وصف فيه الكثير من النباتات وفسر اسماء هذه النباتات فى اللغات المختلفة وبذلك نجده قد اتبع التصنيف العلمى للنباتات
* رشيد الدين الصورى :
من علماء النبات فى العصر الاسلام العالم رشيد الدين الصورى والذى عاش فى الفترة من ٥٧٣هـ ٦٣٩م ولقد تنفرد هذا العالم الفذ من بين اقرانه بانه كان اول من درس النبات فى بيئتة الطبيعية وكان يعتمد على الملاحظة والمشاهدة والتجربة كذلك كان رشيد الدين متفردا فى كونه كان يصحب معه مصورا ورساما لرسم النبات فى كل مرحلة من مراحل نموه ومن اشهر مؤلفات رشيد الدين فى

علم النبات كتابه (النبات) وبه الكثير من النباتات التى كانت تنموفى جبال لبنان واو صافها ورسومها وفوائدها كذلك للصورى كتاب اخر اسمه (الادوية المفردة) والذى وصف به الكثير من العقاقير النباتية وهو كتابه هام كتاب مصور فى علم النبات والحقيقة ان اغلب علماء النبات فى العصر الاسلامى كانوا من بلاد الاندلس والتى اشتهرت بتقوق اهلها فى العصر الاسلامى فى الزراعة والفلاحة وبراعتهم فى تنظيو الاستفادة من المياة كذلك برع اهل الاندلس فى العصر الاسلامى فى زراعة البساتين والحدائق التى انتشرت فى اغلب مدن الاندلس مثل قرطبة والزهراء واشبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الاسلامية إذن فلا عجب ان نجد ان اغلب علماء الزراعة والنبات جاءوا من بلاد الاندلس ودان لهم علم النبات والفلاحة بالكثير وياتى على راس هولاء العلماء ابن البيطار المالقى الذى يعد من اعظم علماء النبات والزراعة فى عصره .

*ابن البيطار:

من اشهر علماء النبات فى العصر الاسلامى ابن البيطار وهو محمد ابن عبد الله ابن احمد ضياء الدين الاندلس ولد فى اواخر القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلاد فى مدينة مالقة الاندلسية ورحل الى بلاد كثيرة فى طلب العلم ودرس النباتات دراسة وافية شاملة واجاد فى التاليف فى علم النبات ومن اشهر مؤلفاته فى هذا المجال كتابه (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) وكتابة(المغنى فى الادوية المفردة فى العقاقير) ولقد استفاد ابن البيطار كثيرا من دراستة للنبات لانه كان طبيبا يستخدم النباتات والاعشاب فى صناعة الادوية التى يستخدمها فى علاج مرضاه وفاق ابن البيطار اقرانه من علماء النبات فى ذلك وخير دليل على ذلك كتابه (الجامع فى الادوية المفردة) والى جاء موسوعة ضخمة تضن اكثر ١٤٠٠ من نوع من العقاقير منها ٣٠٠ نوع لم تكن معروفة من قبل تحدث عنها ابن البيطار ووصفها وصفا دقيقل وهو يذكر المتر ادفات كما يذكر ترجمتها بالاغريقة والفارسية والبربرية واليونانية والاسبانية وتعتبر مؤلفات ابن البيطار فى علم النبات تقدما بعيد المدى فى عصرة كما لعب ابن البيطار دورا كبيرا فى الانتقال بعلوم الزراعة والنبات الى مرحلة جديدة زكان لؤلفاته فى هذا المجال اثرا بعيد المدى فيمن جاء بعده من علماء النبات يؤكد ذلك ما ذكره ول ديورانت فى كتابة قصة الحضارة عن كتابة الجامع لمفردات الادوية انه يشتمل على سعة العلم وقوة الملاحظة وهو اعظم كتاب فى علم النبات ان مؤلفات ابن البيطار ظلت اعظم مؤلفات فى علم النبات والمرجع الاصلى حتى القرن السادس عشر الميلادى وجعلت هذه المؤلفات من ابن البيطار اعظم نباتى فى العصور الوسطى ولقد اضافة ابن البيطار من خلال تجاربة عقاقير جديدة من النباتات استفاد بها العلم فى مراحلة المختلفة

*ابن العوام الاشبيلى :

من اشهر علماء النبات فى بلاد الاندلس وهو يحيى بن محمد بن احمد بن العوام الاشبيلى والذى عاش فى القرن السادس الهجرة الثانى عشر الميلادى وكان عالما فى النبات والفلاحة واعتمد على المشاهدة والملاحظة والتجربة فى ابحاث النبات وطبق هذه التجارب فى مزرعة له كانت تقع بجبل الاشرف قرب اشبيلية ومن اشهر مؤلفات بن العوام كتابه (الفلاحة) والذى يقع فى جزئين وتناول فيه ابن العوامك كل ما يختص بزراعة النباتات والتربة ووصف فى كتابه ما يقرب من ٥٨٥ نبات وصفا دقيقا موضخا بالصور والرسوم الملونه .

كما الف ابن العوام اخر عن النبات اسماء (غراسة الكرم) او رسالة فى تربية الكروم وتناول فيه كل ما يتعلق بزراعة الكروم ومن المعلومات التى وردت كتابة الفلاحة (ان معنى فلاحة الارض هو اصلاحها وغراسة الاشجار فيها وتركيب ما يصلحة التركيب منها وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها واصلاح ذلك وامداده بما ينفعه ويجود ومغرفة جيد الارض ومعرفة ما يصلح ان يزرع او يغرس فى كل نوع منها من الشجر والحبوب والخضر ومعرفة الوقت المختص بزراعة كل صنف) وهناك ايضا من علماء النبات الاندلسيين ابا العباس ابن الرومية الاشبيلى والذى كان احد اشهر رواد علم النبات فى العصر الاسلامى

- ابو عبدالله ابن ابصال الطليطلى

عاش فى طليطلة فى عصر بنى ذى نون وعهدا اليه بالاشراف على حدائقهم الموجودة بالمنية واصبحت هذه الحدائق بفضل ابن بصال من اروع وافخم وابهى الحدائق فى بلاد الاندلس كما عرف عن ابن بصال اعتماده فى دراسة للنبات على التجارب العلمية التى تمكن من خلالها من توليد الغراس وترك لنا بصال مؤلفا على جانب كبير من الاهمية فى هذا المجال هو كتاب الفلاحة والذى ذكر فيه الكثير من اصناف النبات

وهكذا نرى ان علماء المسلمين فى العصور الوسطى قدموا الكثير من المؤلفات العلمية القيمة فى مجال علم النبات والتى اعتمد عليها علماء الغرب فى ابحاثهم ودراساتهم فى العصور التالية وبذلك كان لعلماء الزراعة والنبات المسلمين فى العصور الوسطى دورا كبير فى النهوض بعلم النبات مما عاد على الحضارة الانسانية بكل الخير والمنفعة فى العصر الحديث.